الوحوشية وتمثلات التعبير

الوحوشية : اتجاه فني ظهر عام (١٩٠٥ – ١٩٠٨) متمثلاً بزعامة (ماتيس) ومجموعة من الفنانين ، منهم (ماركيه ، وكاميران ، ومانغوان ، وجان بوي ، وراؤول دوفي ، وديران ، وفلامنك ، وجورج براك) وغيرهم . وقد جاءت هذه التسمية من الناقد (لويس فوكسيل) حينما رأى لوحاتهم تُعرض في عام ١٩٠٥ ، واصفاً إياها بـ(الحيوانات المتوحشة).

وفي نهاية القرن التاسع عشر ظهرت اتجاهات معارضة للانطباعية كان هدفها هي كسب حرية أكبر للتعبير عن الذات ، والابتعاد عن الموضوع والحسيات، ففكرة التعبيرية هي في الأساس أن الفن ينبغي أن لا يتقيد بتسجيل الانطباعات المرئية ، بل عليه أن يعبر عن التجارب العاطفية والقيم الروحية . فهذا التاريخ مهد لظهور جماعة تعرف باسم(الوحوشية Fauvisms) ، ومن ضمنهم (هنري ماتيس Henri Matisse ١٨٦٩-١٩٥٤) والذي تأثر اهتمامه بأعمال(فان كوخ) و(غوغان) ، لكن رسوم (ماتيس) بلغت جرأتها الواضحة في الألوان ، وفي الوقت الذي ظهرت فيه (الوحوشية) في فرنسا ، ظهرت في ألمانيا(الحركة التعبيرية) متأثرة كذلك بأعمال (غوغان) و(فان كوخ)حيث اعتمد الوحشيون اللون كوسيلة للتعبير يجدون بواسطته الحركة بالسطوح الملونة ، وان تمسكهم باللون والتعبير العفوي المباشر أدى إلى إهمالهم الرسم والتأليف تماماً ، وان مذهب ألوحوشي يمثل العود بالفطرة بتلقائية التعبير وبذاتية الأسلوب وحرارة الألوان المعبرة عن جذور الحماس ووحشية الانفعال، وهذا المذهب يستمد طابعه ألزخرفي الذي يسود الأوضاع الفنية في الأداء من طريقة الزخرفية، التي سلكها غوغان ، والأسلوب ألزخرفي يأخذ طريقه من خلال تعبير الفنان عن مشاعره وهي باختصار الاحساس الغريزي الحركي ، وقد تركزت حركة هؤلاء الوحوشين حول إعادة تشكيل صورة الحياة على نحو يخرجها من حياتها الفارغة إلى شكل له مغزى ، وهم لم يبالوا ان يحدثوا في الشكل القائم ما يشبه التشويه ، لذا نجد ان السمة الجوهرية للحركة الوحوشية هو التآلف بين الألوان الحادة تنافرها وتناسقها في تكوين منسجم .

ويعتبر هنري ماتيس الرائد للحركة الفنية في مستهل قرن العشرين، حيث أضفى على التراث الفني الحديث من عبقريته الابتكارية مسالك واتجاهات مستحدثة كان لها صدى قوي في كل المذاهب التكعيبة والتجريدية

لقد اتجه الوحوشيون نحو اللون ، إذ لم يعد – اللون – رقيقاً ووصفياً ، بل غدا عنيفاً ومثيراً ، فاتحين بذلك آفاقاً جديدةً ، اتجهت بمجملها نحو حداثة التجريد ، نتيجة لتفعيل دور الحرية والحدس ، وفك العلائق بالواقع المرئي .

وعلى الرغم من افتتان الوحوشية بطروحات (سيزان ، وفان كوخ ، وغوغان) ، إلاّ أنها وجّهت الفن لبداية جديدة مستندة على البحث المعرفي والجمالي من أجل الحصول على حرية أكبر في التعبير ، وبما يوطد العلاقة والصلة بين الذات وحدسها .

لقد حرص الوحوشيون على إظهار الانفعال الباطني لاقترانه بحقيقة الذات والنظرة الشمولية التي تستدعي معرفة اللامحدود والمطلق منفصلاً عما هو حسي وموضوعي في آن واحد ، وبأساليب أدائية عفوية مباشرة تبغي الذات من خلالها التوصل إلى جوهر الحقيقة ومعناها ، إثباتاً منها لحريتها في الحياة . وهذا ما دفع الفنانين إلى اعتماد البساطة في التعبير وبأقل ما يمكن من وسائل الأداء ، فظهروا برؤيتهم القائمة على حدّة الانفعال والتلقائية أساسه الحرية في استخدام الألوان وتحريف الأشكال وتجريدها من واقعيتها ،

لجأ الوحشيون إلى الألوان الصارخة ، كما تخرج من الأنبوب أحياناً ، كما في البنفسجي والأصفر والأخضر في لوحة (فلامنك) (منظر من شاتو) ، وفي البرتقالي والبنفسجي في بعض أعمال (ماتيس) و(مانغوان) لأنهم اعتمدوا اللون كوسيلة للتعبير

ونلاحظ الفنان النرويجي (ادوارد مونخ ١٨٦٣-١٩٤٤ م) في لوحته (الصرخة) وهي تمثل التعبير عن الحالات النفسية التي تسود البلاد الشمالية بأسلوب هذا الفنان ، أما (تولوز لوتريك) والذي ابتكر أسلوب البوستر الحديث للطبع ، فقد تمكن من أن يخفق التآلف بين العناصر المتضادة والتي تجمع بين الصورة المطبوعة وبين الأسلوب الزخرفي في أعماله الفنية والتي تحمل طابع(فرنسا) في تعبيراته.